التوزيع الجغرافى لقبائل البجة فى صحراء مصر الشرقية فى العصر الوسيط "دراسة فى الجغرافية التاريخية"

إعداد

إيمان عيد عبد الحميد عبد الحى

مدرس مساعد بقسم الجغرافيا

الإشراف

أ.د.م / هيام عبد الرحمن سليم أ.د.م/ عبد الغنى عبد العزيز زيادة

مقدمة:

أولاً: منطقة الدراسة :

وهى الصحراء الشرقية إذ ترجع أهميتها فى العصر الوسيط الى عدة اعتبارات وعوامل منها أن صحراء مصر الشرقية شكلت فى مستهل تلك العصور المعبر الرئيسى للقبائل العربية التى هاجرت الى مصر فى أعقاب الفتح العربى الإسلامى .

وأستقر فى هذه الصحراء عدد كبير من تلك القبائل بسبب مواجهتها من ناحية الموقع لبلادهم فى شبه الجزيرة العربية ، وظروفها الجغرافية المشابهة للبيئة التى نزحوا منها فضلاً عن شهرة صحراء مصر الشرقية بثروتها المعدنية وخاصة الذهب والزمرد مما أغرى كثيرين بالنزوح إليها .

وقد عرفت صحراء مصر الشرقية فى العصر الوسيط باسم صحراء عيذاب أو صحراء القلزم ، اذ ورد ذكرهما بهذه الصيغة فى معظم المصادر التى تعرضت للحديث عن هذه الصحراء .

وترجع تسميتها بصحراء عيذاب نسبة إلى ميناء عيذاب الشهير على البحر الأحمر ، كذلك أطلق عليها بعض الجغرافيين اسم صحراء القلزم نسبه الى مدينة القلزم الشهيرة على رأس البحر الأحمر .

ثانياً: أسباب إختيار الموضوع :

كانت الصحراء الشرقية تستخدم كمعبر للقوافل التجارية حيث اخترقتها العديد من الطرق التى ربطت بين وادى النيل والبحر الأحمر ، كما لعبت موانئ الصحراء الشرقية على البحر الأحمر خاصة ميناء عيذاب دوراً كبيراً فى النشاط التجارى مما ساعد على انتعاش تجارة مصر فى تلك المرحلة من مراحل التاريخ

ثالثاً: أهداف البحث:

1- إن الدراسة سوف تسد فراغا فى المكتبة الجغرافية لمصر فى العصر الوسيط مما يخدم الجغرافيا المعاصرة والدراسات التاريخية والأثرية مما يغنى أصحاب التخصصات الأخرى عن مشقة العودة بأنفسهم بمصادر الدراسة وهذا من نفعية الجغرافيا التاريخية للعلوم الأصولية التى تعود عليها, خاصة بعد تراجع الكثير عن دراسة الجغرافيا التاريخية.

2- 2- دراسة البعد التاريخى والتوزيع الجغرافى لقبائل البجة فى الصحراء الشرقية فى العصر الوسيط

رابعاً: منهج الدراسة :

المنهج التاريخى:

وهو المنهج الذى يهتم بدراسة تاريخ الظاهرة، وبعدها الزمنى خلال العصر الوسيط وهو من أهم فترات التاريخ المصرى فى العصر الوسيط.

ولعل المشكلة الأساسية التى واجهت الطالبة فى دراسة هذا الموضوع هى ندرة المعلومات الواردة فى المصادر المعاصرة عن صحراء مصر الشرقية فى العصر الوسيط ،نظراً لأن إهتمامات العلماء المعاصرين انصبت على قلب الدولة دون الأطراف أو الهوامش.

أولاً: قبائل البجه [1] :-

يرجع تاريخ قبائل البجة بصحراء مصر الشرقية إلى زمن بعيد ، فهم اول من توطنوا فى جنوب الصحراء الشرقية . ثم تفرعت منها عناصر أخرى إنتشرت فى كل أرجاء الصحراء الشرقية . وقد تواكب انتشار هذه العناصر شمالا مع انتشار القوافل التجارية جنوب صحراء مصرالشرقية .

وقد حدد كتاب العصر الوسيط أوطان البجة تحديداً واضحاً . ومن ذلك قول الإدريسى :" وتجاور أرض الحبشة من جهة الشمال أرض البجة ، وهى بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد " [2].

وتمتد الأوطان الحالية لقبائل البجة من محافظة أسوان فى الشمال الى الاطراف الشمالية لهضبة الحبشة فى الجنوب أو من البحر الأحمر فى الشرق الى النيل الاعظم ونهر عطبرة فى الغرب وتمثل هذه الاراضى الوطن الأصلى لقبائل البجة منذ أقد العصور [3].

ويقول ابن يحى الكتبى عن البجه :" وأما البجه فمساكنهم بين بحر القلزم والنيل وبينهم وبين بلاد السودان جبال شاهقة ، وهم مسلمون وكفار ، والمسلمون يسكنون مدينة على ساحل بحر اليمن تسمى عيذاب ينزلون فى أخصاص من القصب ولهم بها رئيس يقوم بأمرهم ، والكفار منهم لا ملة لهم وانما يعبدون الأصنام وما استحسنوه ،ويرجعون الى رسوم وضعتها ملوكهم لأول عدة أصناف .. وفى بلادهم معادن البترول والزمرد وهم مسالمون للمسلمين "[4].

---

[1] قبائل البجه أو البجاه : الأسم المتداول اليوم البجه بكسر الباء ، وهذا تطور حديث ، ومن المألوف على مضى الزمن أن تتحول الحركة من الضم الى الكسرة . وقد كان المتقدمون من الكتاب كالمسعودى والمقريزى يكتبون الاسم بضم الباء وبعدها الف وهاء ، والظاهر ان الاسم قديم جدا ، لأن شعب البجه كان معروفاً للمصريين القدماء باسم المازوى أو الماجوى وهى تعنى فى الفرعونية الحارس أو المحارب . انظر محمد عوض محمد : السلالات الأفريقية ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، ص246.

[2] الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ليدن، مكتبة الثقافة الدينية ، 1864م ، ص28.

[3] سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، م21 ، مايو 1959م ، ص179.

[4] ابن يحى الكتبى : مباهج الفكر ومناهج العبر ، تحقيق عبد العال الشامى ، ط1 ،الكويت، 1981م ، ص99.

ويتحدث المقريزى عن مواطن البجه وبلدانهم :" وبلدانهم كلها معادن ، وكلما تصاعدت كانت أجود الذهب وأكثر . وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والزمرد وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه ، والبجة لا تتعرض لعمل شئ من هذه المعادن ...." [5].

وممالك البجة كانت تمتد من حد أسوان فى مصر الى اخر بلاد الحبشة . ومع أنه من الصعب التفرقة بين ممالك البجة المختلفة نظراً لاشتراكها فى كثير من الظروف الطبيعية والعادات والتقاليد وغيرها .

حيث يقول اليعقوبى عن البجة وممالكهم :" وهم بين النيل والبحر ، ولهم عدة ممالك فى كل بلد ملك منفرد" [6]

وهناك القبائل العربية التى حطت فى أوطان البجة وانتشرت فى أرجاء صحراء مصر الشرقية ومن هنا لابد من التعرف على الظروف المعيشية والعوامل التى أدت الى زيادة هجرة هذه القبائل هناك :-

وكان هذا الإقليم أغزر مطراً ونباتاً فى العهد القديم أكثر مما هو عليه الآن ، وكانت طوائف من الحيوانات المختلفة تجوب أرجائه المختلفة (سهوله ومرتفعاته).

ولا شك انه كان يشتمل على حيوانات مثل الزراف وقطعان من الوعول ، وغيرها من حيوانات الصيد ، مما لا يكاد يكون له أثر فيها اليوم . كانت البلاد جنة لمحترفى الصيد .ولا شك ان هذه كانت حرفة السكان منذ الزمن البعيد.

ثم أخذت الأقاليم تحس بالجفاف ، ويقل صيدها ونباتها تدريجياً . وقد ترتب على ذلك هجرة بعض القبائل من الجهات القليلة العشب ، التى أخذت تغلب عليها الطبيعة الصحراوية . والتجأ السكان بالتدريج إلى الجهات الاوفر ماء القريبة من المرتفعات أى فى النصف الشرقى من البلاد يحتلها البجة الآن .

تشابه من مناخ وبيئة أوطان البجة بصحراء مصر الشرقية مع مناخ وبيئة الجزيرة العربية بالإضافة لرغبة العرب فى العيش عيشة البداوة و الحرية التى تعودوها فى بيئتهم الأصلية والبحث عن مراع واسعة تناسب حياه الابل والاغنام وهذا مادفعهم إلى الهجرة جنوباً فى أوطان البجة حيث البيئة الرعوية التى تشبه بعض جهاتها البيئة الاصلية فى الجزيرة العربية. [7]

شهرة اوطان البجة بمعادنها الثمينة خاصة الذهب حيث انهم اتصلو بسكان وادى النيل واقتبسوا من حضارتهم، وتعلموا الزراعة واستئناس الحيوان، وكان من اهم مناطق الاتصال وادى العلاقى ومايليه

---

[5] المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، نشر فيست ، القاهرة 1922 م ، ج3 ، ص267.

[6] اليعقوبى : كتاب البلدان ، ليدن ،النجف، 1860 م ، ص ص 217 – 218.

[7] اليعقوبى : البلدان ، مرجع سبق ذكره ،ص ص 123-124

من جهة الجنوب، حيث معدن الذهب والزمرد ، وقد أدى ذلك إلى اجتذاب كثير من القبائل العربية المختلفة للعمل فى المعدن ، وقد ساعد على ذلك عدم دراية وخبرة البجة لاستغلال هذه المعادن [8]

اعتاد العرب البيئة الصحراوية والحياة القبلية وعدم الخضوع لحكومة مركزية وبالتالى فمنطقة المعدن بصحراء مصر الشرقية وأقصى صعيد مصر كانت من أنسب المناطق لاقامة هذه القبائل لبعدها عن العاصمة (مركز الحكم) وبالتالى فالسلطة المركزية فيها ضعيفة.

نفور العرب الذين تم فتح مصر على أكتافهم من استخدام الخلفاء العباسين منذ عصر المعتصم حكاماً من الأتراك فى الأمصار الاسلامية ومنها مصر واعتمادها على هؤلاء الأتراك فى كل شئ ، وقد نظر هؤلاء الأتراك إلى العرب كعنصر غير مرغوب فية بل أطلقوا عليهم اسم عناصر الشغب وهذا ما دفع العرب إلى الهجرة جنوباً إلى اوطان البجة.

كذلك ظهر منذ القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى بسبب الاحداث التى طرأت على العالم الاسلامى فى هذا القرن وما بعده، فالمعروف أن سقوط بغداد فى أيدى المغول، وقتل الخليفة العباسى المستعصم وكثير من آل بيته، أثار موجه من الرعب والفزع دفعت بكثير من القبائل العربية إلى الهجرة جنوباً إلى السودان وغيره من الاقطار واستقر كثير منهم فى اوطان البجة بصحراء مصر الشرقية طلباً الثروة فى أرض المعدن[9].

الحياة الاقتصادية لقبائل صحراء مصر الشرقيه (البجة) ثانياً:

1- الزراعة: ليس من المنتظر فى بيئه تغلب عليها الصفات الصحراوية فى معظم جهاتها أن يكون فيها للزراعة شأن كبير ، ومع ذلك كان هناك جهات متفرقة أمكن أن تنشأ فيها حياة زراعية ، فإن البجة قد مارسوا الزراعة فى جهات متفرقة وعلى الأخص فى الجنوب ، وعلى ضفاف العطبرة ، وفى بعض الاودية الأخوار ، وفى سهل البطانة حيث يجود المطر من عام لعام ، وان كان من عادته ان يخلف الظنون فى بعض السنوات.

وكان أهم ما يزرعونه الحبوب ، وعلى الأخص الذرة الرفيعة . وفى الأقاليم الشمالية حيث الزراعة قليلة والمحصول ضئيل ، كانو يضطرون إلى شراء حاجاتهم من الحبوب للطعام كل عام ، لكى

---

[8] مصطفى مسعد : البجة والعرب فى العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد 21 ، العدد الثانى ، القاهرة ، ديسمبر 1959 م ، ص46.

[9] مصطفى مسعد : البجة والعرب ، مرجع سبق ذكره ، ص 46.

تستخدم بمثابه التقاوى عند الزراعه ، أما فى الجنوب فإن قلما يحتاجون إلى شراء الحبوب للقوات أو الزراعة.

2-الرعى: على الرغم من احتراف الزراعة ، وضرورة الغلات الزراعية لاستكمال التغذية ، فإن الرعى كان ولازال هو الحرفة الاساسية لجميع قبائل الصحراء الشرقية وخاصة البجة ، على اختلاف قبائلهم وأوطانهم ، فالبجة شعب من الرعاة وان تعددت وجوه النشاط فيه وتنوعت.

وربما كانت حياة الرعى والبداوة من أهم الاسباب لهجرة القبائل العربية إلى أوطان البجه ومن الممكن أن نتصور أن البجة قد جاء عليهم حين من الدهر لم يكونوا يحترفون حرفة بل كان جل أهتمامتهم ونظام حياتهم مركزاً حول رعى القطعان والعناية بها والدفاع عنها .

فإذا اثار نزاع حول أرض، فذلك لانها مرعى لماشيتهم أو فيها آبار لسقاية دوابهم، وإذا أغاروا على جيرانهم فإن أهم اسباب الخصام الحصول على قطيع أو الثأر لعدوان على قطيع.

وإذا كانت الروح الحربية هى الخلق الذى يجب أن يربي فى كل فرد من أفراد البجة ، فذلك لأن حياة الرعى تتطلب التأهب الدائم للزود عن القطيع ، ورد العدوان عنه .

والطمع والجشع لايتخذ الا صورة واحدة وهى الرغبة فى الاستئثار بأكبر عدد ممكن من الابل .

فالحياة كلها مركزة حول شئ واحد ، وان ظهرت فى مظاهر مختلفه [10]

ومن المرجع أن البجة قد عرفوا الزراعة و الزراع زمناً طويلاً، دون أن يمارسو تلك الحرفة أو يقلدوا من يحترفها. ولا شك انهم عرفوا فائدة الغلات الزراعية ، وعلى الأخص الحبوب ، وحصلوا عليها واستخدموها فى غذائهم، دون أن يفكروا فى استنباطهم بأنفسهم ، حيث كانوا يحصلون عليها بإحدى وسيلتين: إما بالإغارة ، إذا كان الزراع ـ كما كان الحال فى كثير من الاحيان ــ جماعات مستضعفة ، متفرقه ليس بينها تضامن وتعاون ، وإما بالبيع والشراء . بأن يعطوا مايفضل عن حاجتهم من الماشية ويحصلو فى نظيرها على حاجتهم من التمر أو الحبوب. وتقاليد البجة وشعائرهم ومختلف عاداتهم كلها تشير بأن مجتمعهم موطد الأسس فى حياة الرعى . فالدية تدفع بالإبل وسائر أنواع القطعان تحتل مكاناً هاماً [11] وفى العصر الوسيط وخاصة عصرى الايوبين والمماليك استخدمت البجة هذه الابل فى نقل الحجاج والتجاره وبضائعهم

---

[10] كان أكبر سوق للجمال فى مصر تتجه إليه البجة هو سوق دراو (35 كيلو متر شمالى أسوان)اذ يعتبر نهاية أهم الطرق الصحراوية القديمة من الصحراء الجنوبية الشرقية والسودان إلى مصر . انظر . محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى، ط 1 ، القاهرة ، 1980م ،ص 128.

[11] محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله، ط1 ، القاهرة ،1951م ، ص52.

عبر صحراء مصر الشرقيه من موانئ البحر الأحمر إلى وادى النيل والعكس نظير أجر معلوم [12] ، إلا أن البجة فى كثير من الأحيان كانوا يسيئون التصرف مع الحجاج والتجار عند نقلهم للحصول على المزيد من الاموال. ويقول ابن جبير فى هذا الصدد عن حديثه عن الحجاج عند نزولهم بميناء عيذاب فى طريقهم إلى قوص على النيل مانصه.

"وذلك أن الرياح تلقيهم على الأكثر فى مراسى بصحارى تبعد منها مما يلى الجنوب فينزل إليهم البجاة ،وهم نوع من السودان ، ساكنون الجبال ، فيكرون منهم الجمال ويسلكون بهم غير طريق ماء، فربما ذهب أكثرهم عطشان وحصلوا على نحلتهم من نفقه او سواه" [13]. وقد ذكر ابن جبير أنه كان يتم اعداد الابل وتجهيزها للحجاج فى موضع يقال عليه المبرز، وكانت هذه الابل نوعين :نوع لذوى اليسار ونوع لعامة الحجاج البسطاء . ويقول ابن جبير فى هذا الصدد:

" ولا يسافر فى هذه الصحراء (الصحراء الشرقية) إلا على الابل لصبرها على الظمأ، وأحسن مايستعمل عليها ذوو الترفيه الشقاديف [14] ، وهى أشباه المحامل وأحسن انواعها اليمانية، كأنها كالاشاكيز [15] اليسفريه مجلدة متسعه، يوصل منها الاثنان بالحبال الوثيقة وتوضع على البعير،ولها أذرع قد صفت بأركانها ،يكون عليها مظلة فيكون الراكب فيها مع عديله [16] فى كن [17] من لفح الهاجرة ، ويقعد مستريحاً فى وطائه ومتكئاً، ويتناول مع عديله مايحتاج اليه من زاد وسواه، ويطالع متى شاء المطالعة فى مصحف أو كتاب. ومن شاء ــ ممن يستجيز اللعب بالشطرنج ــ أن يلاعب عديله تفكها واجماما للنفس ،لاعبه ،وبالجملة فانها مريحه من نصب السفر. وأما نوع عامه الحجاج فهو الابل المجردة من المحامل والسروج لذلك فقد كانو يكابدون من سموم الحر عنتا ومشقه" [18]

---

[12] المقريزى : المواعظ والاعتبار ، ج1، ص193.

[13] ابن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت ، 1968م ، ص ص 42-43 .

[14] الشقاديف : جمع شقدوف وهو مركب معروف بالحجاز يركبه الحجاج وهو أوسع من العمارى وأعظم حجماً ، وذوو الترفيه الاغنياء المرفهون ، بمعني شيء يوضع على ظهور الإبل يركبون عليه .

[15] الاشاكيز : جمع اشكز ، وهو الشئ كالأديم الا أنه ابيض توثق فيه السروج .

[16] العديل : الراكب مع الانسان من الناحية الثانية من الجمل ليعادله .

[17] الكن المقصود به الستر . انظر مصطفى مسعد : المكتبة السودانية – العربية ، ط 1 ، الخرطوم ، 1972 م ، حاشية 3 ، ص152.

[18] ابن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت 1968 م ، ص42.

وكان البجاه يهتمون بالابل السريعة حيث كانت تحتل المكان الظاهر البراق من حياة البجة فهى التى شكلت المجتمع البجاوى بأن جعلته يجمع بين التفرق فى مختلف الأنحاء والاودية المنعزلة ، والتجمع السريع اذا كان هناك حاجة للم شمل القبيلة وتجميعها لغرض من أغراض الحرب والسلم .

لقد كانت الابل اذن هى أهم الحيوانات ، واعلاها شأناً ، وليست القطعان الأخرى سوى أجزاء متممة للثروة الحيوانية . ولا وجه للمقارنة بينها وبين الابل فى الأهمية . والقبيلة التى تنقص ابلها أو تبيد تتعرض لكارثة محققة ، ولن تلبث زمناً طويلاً حتى تذهب ريحها ، ويضطرب كيانها ، ولابد لها بعد ذلك من أن تندمج فى قبيلة أخرى او تتعرض لفناء محقق . وكانت ثروة القبيلة تحصى بما لديها من الابل .

ولكن هذا يجب الا ينسينا أن قوام الحياة الاقتصادية هو الإبل الأخري ، التى تستخدم فى الحمل ، وهى تدر الألبان الغزيرة وتساعد فى انتقال العشيرة من موطن الى موطن ، وهى التى تستخدم فى نقل السلع والبضائع ، فوق حملها للخيام والأبراش والأمتعة والأوانى ، وهى عماد النشاط التجارى ، يؤجرها البجة للنقل فى الصحراء حيث تنعدم وسائل النقل الأخرى ، وهى بذلك تكون مورداً من أهم موارد الرزق ولذلك لاتقل عناية البجة بها عن عنايتهم بالإبل السريعة التى تستخدم فى الزود عن القطعان ، وحماية الممتلكات [19] .

ويقول العمرى عن هذه الابل ما نصه :" يحمل الجمل منها لو حمل الجبل بعضه لتصدع ، ويكابد جهد السرى ، لايشكو ولا يتوجع ، قد ألف بادية الأعراب فلا ينفك بين حل ومرتحل لا يبالى حيث شد راكبه وحل قد طوى على الظماء أحشاءه وذلك وما كان يعجزه عز الآباء لو شاءه "[20] .

الصناعات: 3-

حياة البداوة وكثرة التنقل لا تساعد على نشوء صناعات كثيرة ، فالصناعة كانت مقصورة على الأشياء الضرورية والمادة الأولية بالطبع كانت محدودة ،وأكثرها مشتق من النبات أو الحيوان . وأهم النبات نخيل الدوم وشجر السنط ، وأهم الغلات الحيوانية الشعر والصوف والوبر والجلود . والألبان بالطبع لكثرة الابل والأغنام . ومن أهم أنواع النسيج ، صنع الشملات . وهى كانت تصنع عادة من شعر الماعز ، وأحياناً من صوف الغنم ، ولكن أكثر ما كان يستخدم فيه الصوف هو لتجميل الشملات أو الأوعية الجلدية . وهذه الصناعة كانت من اختصاص النساء .

---

[19] محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، مرجع سبق ذكره، ص 55.

[20] ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة 1312 هـ ، ص ص 293 -294.

وبما أن البجة بوجه عام كان شعب تغلب عليه الصفة الحربية والطبع الحربى ، فكان اكثر ما أهتموا به صناعة الأسلحة للمحافظة على النفس والمال ، وسلاحهم الرئيسى هو السيف للهجوم ، والدرقة للدفاع ؛ وقلما يستخدمون الرمح أو القوس والسهام وأيضاً اشتهروا بصناعة الخناجر على الرغم من أن موطنهم ليس فيه معدن الحديد ، لكنهم كانوا يعتمدوا فى شراء سيوفهم وجناجرهم عن طريق البيع والشراء فالرمح كان يأتيهم من أهل الجنوب ، والسيف من الشمال أو من جزيرة العرب عن طريق البحر الأحمر[21] .

[21] محمد عوض محمد : السلالات والشعوب الافريقية ، مرجع سبق ذكره، ص 279.

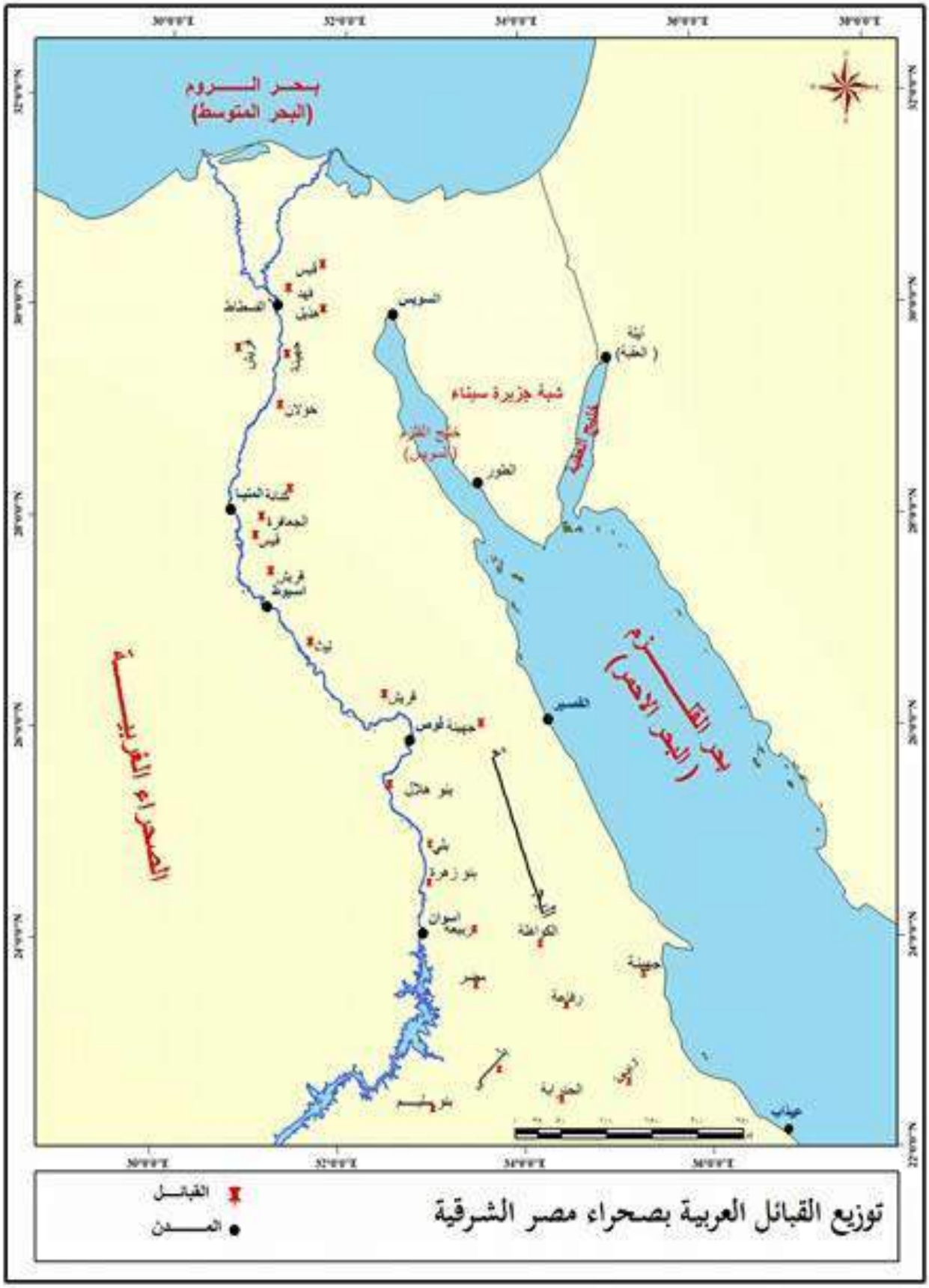
بحر الـــروم
(البحر المتوسط)
السويس
شبة جزيرة سيناء
خليج السويس
خليج العقبة
الطور
البحر الأحمر
الصحراء الغربية
القبائل
المدن
توزيع القبائل العربية بصحراء مصر الشرقية

شكل رقم (١) .

ولكثرة القبائل العربية التى نزلت بأوطان البجة بصحراء مصر الشرقية والدور الهام التى قامت به تلك القبائل فى تأمين طرق التجار والحجاج وغيرها من الأدوار الهامة، كان لابد أن نتحدث عن أهم القبائل وتوزيعها الجغرافى فى منطقة الصحراء وأهمية وجودها فى ذلك الوقت .

وأنقسمت القبائل التى هاجرت أوطان البجة فى صحراء مصر الشرقية إلى :

1 – القبائل العدنانية .

2- القبائل القحطانية .

*** <u>العوامل التى أثرت فى النشاط التجارى لقبائل البجة :-</u>**

وهناك مجموعة من العوامل لعبت دوراً فى النشاط التجارى من أهمها:

1- <u>الموقع الجغرافى لصحراء مصر الشرقية :</u>

لصحراء مصر الشرقية موقع جغرافى هام ساعد على نمو وازدهار وتنشيط التجارة عبرها حيث يحدها شرقا البحر الأحمر الذي يتميز بموقعه الاستراتيجي اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ، ويعد واحدا من أهم الممرات المائية العالمية التى تتيح للملاحة الدولية حركة تجارية نشطة وسريعة من الشرق والغرب عبر العصور المختلفة ، فكان معظم متاجر العالم التى تنقلها الأساطيل التجارية كانت تمر عن طريق البحر الأحمر ، وذلك لكونه اقرب وأقصر من طرق التجارة الأخرى .

لذا فإنه يعد منذ أقدم العصور شرياناً حيوياً للمواصلات ووسيلة للتبادل التجارى والحضارى بين البلدان المحيطة به من جانب وبينها وبين البلدان الأخرى البعيدة عنه [22] . ومن هنا برزت أهمية موقع موانئ صحراء مصر الشرقية المطلة على هذا البحر .

كذلك يحد الصحراء الشرقية من الغرب نهر النيل ومدى أهمية نهر النيل ودوره الحيوى فى ثراء مصر منذ القدم حتى الآن ، كما كانت تقع عليه فى عصرى الأيوبيين والمماليك أهم المحطات التجارية كالقاهرة وأسوان وقوص وغيرها من المدن التى كانت تربطها علاقة مباشرة بموانئ صحراء مصر الشرقية على البحر الأحمر عن طريق شبكة من الطرق.

أما الحد الشمالى لهذه الصحراء فيمكن اعتباره مسار درب الحاج المصرى ما بين بركة الحاج [23] ومدينة القلزم حداً شمالاً لهذه الصحراء يفصلها عن الهامش الصحراوى لشرق الدلتا وبرزخ السويس ، كذلك يمكن اعتبار وادى العلاقى ما بين عيذاب وأسوان ممثلاً للحد الجنوبى لهذه الصحراء .[24]

---

[22] عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر ، القاهرة، 1976 م ،ص ص ص 10 –11 – 12 .

وهكذا فإن صحراء مصر الشرقية كانت دائماً حلقة وصل لعبت عن طريق موقعها بين النيل والبحر الأحمر دور الوسيط التجارى فى نقل المتاجر من الشرق الى الغرب وبالعكس مما ساعد على تنشيط التجارة وازدهارها فى تلك البقعة.

2- <u>حماية طرق التجارة عبر صحراء مصر الشرقية :</u>

اهتم السلاطين الذين حكموا خلال فترة الدراسة بحماية طرق التجارة عبر صحراء مصر الشرقية وتوفير الأمن بها والضرب على أيدى العابثين و المعتدين عن أمن القوافل ، وخاصة قبائل العربان الذين سكنوا تلك الجهات والذين اعتادوا حياة السلب والنهب وإن كانوا يقومون أحيانا بحماية القوافل وتجهيزها .

نلمس ذلك واضحاً أيام صلاح الدين الأيوبى الذى عمل على توفير الأمن فى الطرق المؤدية من موانئ البحر الأحمر الى وادى النيل عبر صحراء مصر الشرقية .

فقد عمل حكام البلاد على راحة التجار وتأمين إقامتهم والمحافظة على أموالهم وأرواحهم فأقاموا لهم الفنادق [25] الخاصة بهم والتى كانوا يمارسون بها مختلف نشاطتهم على سبيل المثال عندما تولى تقى الدين عمر ابن اخو صلاح الدين حكم مصر نيابة عنه فى عام 579 هـ / 1183 م ،بنى للكارم فندقهم العظيم فى الفسطاط على شاطئ النيل حيث ترسو مراكبهم المحملة بسلع الشرق وأهمها التوابل والقادمة عن طريق ميناء عيذاب عبر صحراء مصر الشرقية ، وقد أوقف هذا الفندق على سكن الكارم [26] .

---

[23] بركة الحاج : كانت تعرف باسم بركة الجب نسبة الى جب عميرة بن تميم ، ويقع هذا الموضع خارج القاهرة ، واشتهرت هذه البركة فى عصر المقريزى (القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) باسم بركة الحاج أو الحجاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة وإليها فى مواسم الحج . انظر . المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج1 ، بولاق ،القاهرة ، 1852 ، ص 289.

[24] ابراهيم أحمد رزقاته ، عبد الغنى عبد العزيز زيادة : الجغرافية التاريخية بين الهدف والميدان ، 2016، مكتبة الزعيم للخدمات المكتبية ، القاهرة ، ص 199.

[25] تسمية الفندق جاءت من الكلمة اليونانية "pondokeon" ومن كلمة "Agora " اليونانية أيضاً ومن كلمة "Horrea" اللاتينية ، وهى تقابل كلمة الخان الفارسية وكلمة الوكالة العربية يكون باسم الطائفة التى تنزل به ، وكانت مناطق انتشار الفنادق أو الخانات عادة بالقرب من الأسواق أو المحطات التجارية أو المساجد الجامعة حيث يكثر الرحالة المسافرون ، ويحتوى الفندق على جميع ما يحتاجه التاجر الأجنبى من مأوى ومخبز وحمام كنيسة .

انظر سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر و الشام ، القاهرة 1976، ، ص289. ، ابراهيم رزقاته ، عبد الغنى زيادة : مرجع سبق ذكره ، ص215 .

[26] القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الإنشا ، ج4 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1919م ، ص 32.

ويقول اين جبير عن أمن الطريق بين قوص وعيذاب :" ورمنا فى هذا الطريق احصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا ولا سيما القوافل العيذابية المحملة بسلع الهند الواصلة من اليمن ، ثم من اليمن الى عيذاب . واكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل . فلقد خيل إلينا لكثرته أنه يوازى التراب قيمة ، ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقى بقارعة الطريق ، أحمال الفلفل والقرفة وسائرها من السلع مطروحة لا حارس لها ، تترك بهذه السبيل اما الاعياء الابل الحاملة لها أو غير ذلك من الاعذار ، وتبقى بموضعها الى أن ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المار عليها من أطوار الناس " [27].

ويتضح لنا مما ذكره ابن جبير ان طرق الصحراء الشرقية كانت آمنة وكانت القوافل التجارية تمر بها تحت رقابة وحراسة الدولة الأيوبية مما شجع التجار على استخدامها وبالتالى ازداد انتعاش التجارة عبر صحراء مصر الشرقية فى تلك الفترة .

وفى العصر المملوكى حرص السلاطين على أن يضربوا بيد من حديد على أيدى العابثين والمعتدين على أمن قوافل التجارة وخاصة العربان الذين سكنوا تلك الجهات، والذين أعتادوا حياة السلب والنهب .ويروى المقريزى فى هذا الصدد : " أنه عندما أشتد القتال فى صحراء عيذاب عام 680ه/ 1281م بين عرب جهينة وعرب رفاعة ، أمر السلطان قلاوون الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ، ولا يعين طائفة على أخرى خوفا على فساد الطريق"[28].

والمفهوم من ذلك هو أن قلاوون لم يكن يرضى بتاتاً أن تقوى شوكة قبيلة على حساب غيرها حتى لاتصبح خطرا يهدد سلامة هذا الطريق التجارى ، ولما كان البدو فى أطراف الدولة موضع شغب ومثار مشاكل كثيرة تهدد الأمن و التجارة فلم يكتف السطان قلاوون بإخماد هذه الفتنة فى الصحراء الشرقية بل أمر النواب والولاة فى جميع أقاليم السلطنة أن ينتزعوا منهم جميع الأسلحة من سيوف ورماح وغيرها ، وأن يشتدوا فى معاملتهم وان اقتضى الأمر فعلى الولاة أن يأخذوا منهم الرهائن لكسر شوكتهم ، كما أمر باعة الأسلحة فى القاهرة ألا يبيعوها لهم [29] . وفى هذه السياسة الحازمة خير ما يضمن سلامة الطرق التجارية ويشجع التجار على ارتيادها.

3- <u>تأمين إقامة التجار والمحافظة على أموالهم وأرواحهم :-</u>

---

[27] ابن جبير : الرحلة ، مرجع سبق ذكره ، ص ص 66 – 67.

[1] المقريزى : السلوك ، ج1 ،مرجع سبق ذكره ، ص700.

[29] المقريزى: المصدر السابق ، ج2 ، ص 162 .

كما سبق القول ، عن خطر القراصنة وغاراتهم ضد السفن التجارية فى البحر الأحمر، ويذكر القلقشندى فى هذا الصدد :" أن الفواطم قد اعدوا اسطولاً بعيذاب يتلقى به الكارم فيما بين عيذاب وسواكن وما حولها خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب فيحميهم الاسطول ، وكان عدة هذا الاسطول خمسة مراكب ثم صارت ثلاثة ، وكان والى قوص هو المتولى لأمر هذا الاسطول وربما تولاه أمير من الباب ويحمل اليه من خزائن السلاح ما يكفيه " [30].

واستمر هذا الوضع فى العصر الوسيط " فقد وصلت سفن مصر الى اليمن حاملة الجند والعتاد لاقرار الحكم الايوبى فيها ، وما أن أتم ذلك الأسطول مهمته حتى اتجهت الحكومة الى الاستفادة منه فى حراسة السفن التجارية بالبحر الأحمر من سطوة السراق " [31] وليس يخفى أثر ذلك فى تأمين الأرواح والأموال وتوسيع العلاقات البحرية والتجارية بين مراكب جلب التجارة فى الشرق ومراكز تصريفها فى مصر.

وكثيرا ما كان حكام البلاد يوصون نوابهم بالثغور بحسن معاملة التجار كما فعل المنصور قلاوون حين أوصاهم بملاطفة التجار والتودد اليهم وترغيبهم ، ومراعاة العدالة فيما يجنونه من أموال بحيث لا يأخذون منهم سوى الحقوق السلطانية.

ولاشك فى أن سياسة تحسين العلاقة مع ملوك الدول التى لها مصالح تجارية فى مصر وتشجيع التجار الأجانب على القدوم الى مصر ومعاملة هؤلاءالتجار بالحسنى والمحافظة على أرواحهم وأموالهم كان لها الأثر العميق فى تنشيط وازدهار التجارة المصرية وخاصة بالنسبة لموانئ صحراء الشرقية على البحر الأحمر فى ذلك الوقت.

4- <u>عوامل أخرى :-</u>

وإلى جانب العوامل السابقة كانت هناك عوامل أخرى ساعدت على زيادة ونمو النشاط التجارى عبر صحراء مصر الشرقية ومنها :

1- الرواج التجارى لموانئ صحراء مصر الشرقية على البحر الأحمر خاصة فى عصرى الأيوبين والمماليك خاصة ميناء عيذاب .

---

[30] القلقشندى : صبح الأعشى ، مرجع سبق ذكره ، ج3 ، ص 524 .

[31] ابن المجاور : تاريخ ابن المجاور ، تحقيق لوفغرين ، ليدن ، 1951، ج2 ،ص 116 .

2- الازدهار التجارى الذى حظيت به محطاتها على وادى النيل كقوص و أسوان وزيادة التبادل التجارى عبر طرق الصحراء الشرقية بين تلك الموانئ والمحطات .

3- اهتمام السلاطين بتوطيد النفوذ المصرى فى البحر الأحمر وإقامة علاقات اقتصادية مع بلدانه المختلفة خاصة اليمن والحجاز والحبشة ، وكذلك مع الهند والصين وغيرها ، وتدعيم هذه العلاقات عن طريق المعاهدات والاتفاقيات التجارية لتسهيل التبادل التجارى بين هذه البلدان وبين موانئ صحراء مصر الشرقية على البحر الأحمر .

4- كذلك لايمكن ان ننكر الدور الكبير الذى قام به التجار الكارمية[32] فى تلك الفترة وكان لهذا الدور أثره الواضح فى زيادة وانتعاش النشاط التجارى فى حوض البحر الأحمر بصفة عامة وفى موانئ صحراء مصر الشرقية بصفة خاصة.

[1] **الكارمية** بالإضافة إلى تجارة الشرق الأقصى والغرب الأوروبى شهدت مصر نشاطاً تجارياً كبيراً مع بلدان السودان الغربى وأفريقيا الوسطى ، وعرف تجار تلك الجهات بتجار الكارم ، وقد أشتهر الكارم باحتكارهم لتجارة التوابل والبهار حتى أصبح اسم الكارمية يطلق على كل من يعمل فى البهار والفلفل ،وبلغ من ثراء هؤلاء الكارمية أن بعض سلاطين المماليك كانوا يقترضون منهم الأموال كلما اضطرتهم الظروف إلى ذلك . أنظر . صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجار مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ،القاهرة ، ص195. :

الخاتمة

بعد هذا العرض السريع للتوزيع الجغرافى لقبائل البجة فى صحراء مصر الشرقية فى العصر الوسيط يمكن التوصل إلى النتائج والتوصيات التالية :-

أولا : النتائج

1- أن السكان الذين كانوا مستقرون أصلاً فى أقليم الصحراء الشرقية قبل الفتح العربى لمصر بفترات طويلة وأستمرت حتى الفتح العربى وبعده هم الذين عرفوا باسم قبائل البجة أو البجاه.

2- علاقة قبائل البجة بالعرب فى صحراء مصر الشرقية.

3- أن هناك عوامل أدت إلى هجرة القبائل العربية واستقرارها فى أوطان البجة بصحراء مصر الشرقية وكان على رأس هذه العوامل شهرة أوطان البجة بمعادنها الثمينة خاصة مناجم الذهب والزمرد، ومن المعروف أن هذه القبائل العربية كانت تنتمى إلى الفرعيين الرئيسين القحطانيين والعدنانيين .

4- أن البجة بوجه عام كان شعب تغلب عليه الصفة الحربية والطبع الحربى.

5- إن الرعى كان ولازال هو الحرفة الاساسية لجميع قبائل الصحراء الشرقية وخاصة البجة.

6- أن الصناعة كانت مقصورة على الأشياء الضرورية والمادة الأولية فقط لذلك كانت محدودة.

ثانيا : التوصيات

1- ضرورة توافر المصادر والمراجع عن فترة الدراسة لأن المشكلة الاساسية التى واجهت الطالبة هى ندرة المعلومات الواردة فى المصادر المعاصرة عن صحراء مصر الشرقية فى العصر الوسيط ، ذلك أن أهتمامات العلماء المعاصرين انصبت على قلب الدولة دون الأطراف.

قائمة المراجع والمصادر

أولا :- المصادر

1- ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت614ه / 1217م)

– تذكرة بالأخبار عن انفاقات الأسفار ، المعروف برحلة ابن جبير ، بيروت ،1968م.

2- ابن فضل الله العمرى : شهاب الدين أحمد (ت742ه/ 1341م)

– التعريف بالمصطلح الشريف ، الطبعة الأولى، مطبعة العاصمة ، بيروت ، 1988م.

3- ابن يحى الكتبى : محمد بن ابراهيم الشهير بالوطواط (ت 718ه/ 1318م)

– مباهج الفكر ومناهج العبر ، تحقيق عبد العال الشامى ، ط1 ، الكويت ، 1981م .

4- ابن المجاور : جمال الدين ابى الفتح يوسف بن يعقوب (ت690ه/ 1291م)

– صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز أو تاريخ المستبصر المعروف بتاريخ ابن المجاور ، تحقيق اوسكرلوفغزين ، ليدن ، 1951م.

5- الإدريسى : محمد بن محمد بن عبدالله الشريف (ت560ه / 1164م)

– صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ماخوذ من نزهة المشتاق ، ليدن ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1864م.

6- القلقشندى : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على (ت821/756ه)

– صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الرابع ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1919م.

7- المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت 845ه/ 1441م)

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الأول ، نشر فيست ، القاهرة ، 1922م .

8- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر المعروف بابن واضح الأخبارى (توفى حوالى 284ه)

– كتاب البلدان ، ، ليدن ، 1892م .

ثانياً : المراجع :

1- إبراهيم أحمد رزقانة ، عبد الغنى زيادة ، الجغرافية التاريخية بين الهدف والميدان ، مكتبة الزعيم للخدمات المكتبية ، القاهرة ،2016م.
2- سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، م21، مايو 1959م .
3- سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ، 1976م.
4- صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ن المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع ، العدد الثانى، القاهرة .
5- عطية أحمد القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر من فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1973.
6- محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله ، ط1 ، القاهرة ، 1951م.
7- .....: السلالات والشعوب الإفريقية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة .
8- محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، الطبعة الأولى ، 1980م.
9- مصطفى مسعد : البجة والعرب فى العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد 21، العدد الثانى ، ديسمبر 1959م.
10- .....: المكتبة السعودية العربية ، ط1، الخرطوم ، 1972م .